

قراءة النظرية اللسانية في التراث العربي بين المنظورين العربي والغربي: مراجعة وتعليق وتحليل

محمد عبد العزيز عبد الدايم الرفاعي
أستاذ العربية والدراسات النحوية واللغوية بجامعة الملك عبد العزيز
العنوان الدائم: دار العلوم - جامعة القاهرة

يتوجه هذا البحث إلى مفهوم النظرية التي تعد مع المنهج أهم دعامتين لبحث الظواهر بصورة علمية ناجعة ولاستخراج أنظمتها بشكل دقيق. وهو يقوم على مراجعة قراءة الدرس اللساني المعاصر لمختلف النظريات اللغوية التي قدمها التراث اللغوي العربي في إطار دراسته للعربية.

وسوف نناقش موضوع بحثنا من خلال ثلاثة أمور بسيطة، وهي الصورة العامة لقراءة النظرية اللغوية للتراث العربي في الدرسين العربي والغربي، وتسجيل بعض الملاحظات عن القراءة التنظيرية للتراث العربي في الدرسين، ثم تحليل بعض القراءات التنظيرية للتراث العربي.

1. الصورة العامة للنظرية اللغوية العربية للتراث العربي في الدرسين العربي والغربي
لا يخفى أن أولى قطاعات البحث بتوجه الدرس اللغوي إليها هو قطاع التنظير؛ فإن أعرض القطاعات التي أنجزتها الدراسات المعاصرة للتراث اللغوي العربي، سواء أكان ذلك على مستوى الدارسين العرب أم كان على مستوى المستشرقين واللغويين الغربيين المعنيين بالنظرية اللغوية على اختلاف تجلياتها، لم يتجاوز رصد الاتجاهات والمدارس النحوية مشهورة¹ أو غير مشهورة²، وأعلام النحو واللغة، والظواهر والأنظمة النحوية المختلفة، فضلاً عن تحقيق أمهات مصادر التراث العربي وعيونه.

1- وتتمثل في مدارس البصرة والكوفة وبغداد ومصر والشام والأندلس. ولا يناسب إحصاء هذه الدراسات هذا المقام، وتكفي الإشارة إلى أبرزها ممَّا يُعدُّ علامة في الدرس التاريخي، وهي دراسات: ضيف، د. شوقي (1968 [1983]) المدارس النحوية، مصر: دار المعارف، ط5، والمخزومي، د. مهدي (1953 [1958]) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، والسيد، د. عبد الرحمن (1958 [1968]) مدرسة البصرة النحوية: نشأتها وتطورها، مصر: دار المعارف، ومكرم، د. عبد العال سالم (1962 [1980]) المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة، القاهرة: دار الشروق، والسيد، د. أمين (1962) الاتجاهات النحوية في الأندلس وأثرها في تطوير النحو، دكتوراه بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة.

2- بلغ الدرس المعاصر آخر الشوط، فحاول إثبات ما احتمل فقط أن يُمَثَّل مدرسة نحوية، وهذا ما تُبْرِزُه بحوث عن مدارس قامت بالمدينة ومكة أو بالحجاز، مثل:

* بحث رفائيل تالمون Talmon عن "المدرسة النحوية للقرن الثامن الميلادي في المدينة: جمع المادة المتاحة وتقويمها"، وهو: Talmon, Rafael (1985) "An eight-century grammatical school in Medina: the collection and evaluation of the available material", in Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, Vol. XLVII, Part 2, pp. 224-36.

* بحث ريتشارد مورتل Mortel عن "المدارس في مكة خلال فترة القرون الوسطى: دراسة وصفية في ضوء المصادر الأدبية"، وهو: Mortel, Richard T. (1997) "Madrasas in Mecca during the medieval period: a descriptive study based on literary sources", in Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, Vol. 60, Part 2, pp. 236- 52.

وقد جاء في هذه الدراسات المعاصرة للتراث اللغوي العربي النزر اليسير من استنباط النظرية النحوية، بصفة خاصة، على استحياء وفي عدة صور ابتدائية لم تبرزها على نحو كاف³؛ فقد ورد التنظير للتراث العربي، وبخاصة النحو، على النحو التالي:

- الإشارة العابرة إلى النظرية في النحو العربي مع قصر نظريته على نظرية واحدة تمثلت في نظرية العمل أو العامل. وقد تمَّ ذكرها على جهة النقد لا العرض والتفصيل ممَّا يَجْعَلُ التَّعَرُّضَ للنظرية من قبيل النقد أكثر من كونه تنظيراً للنحو العربي. وقد بدأت الإشارة إلى مفهوم العمل على أنه نظرية مع ثلاثينيات القرن العشرين؛ إذ لَقَّبَ كتاب إحياء النحو مفهوم العمل بالنظرية، يقول عن النحاة: "ويطيلون في شرح العامل وشرطه ووجه عمله حتى تكاد نظرية العامل تكون عندهم هي النحو كله"⁴.

وثمة إشارة أخرى إلى نظرية العامل في النحو العربي أعمق كثيراً ممَّا سَبَقَ، وهي، في الحقيقة، تَنبِيءٌ على الفرق بين منهج المكونات النهائية ومنهج المكونات المباشرة لَفُنْتُ Wilhelm Wundt⁵ الذي صار "سمة بارزة للبنىوية البلومفيلدية"⁶، و"شاع في البنىوية الأمريكية"⁷. والفرق بينهما يَتَمَثَلُ في أَنَّ منهج المكونات النهائية يحلّل الجمل إلى وحداتها النهائية أي كلماتها، دون بيان المُرَكَّبَات التي تكون بين الجمل والكلمات ودون بيان أجزاء الكلمات، على حين يُحَلَّلُ منهج المكونات المباشرة الجملة إلى مركبات، ثم المُرَكَّبَات إلى كلمات، والكلمات إلى أجزاء كلمات إذا كانت هذه الأجزاء ذوات دلالة صرفية. أي أنه يبين

³- ومن هذه الأعمال: فريجة، أنيس (1981) نظريات في اللغة، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط2، وطحان، ريمون، وطحان، دنيز بيطار، فنون التقعيد وعلوم الألسنية، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط1، والموسى، د. نهاد (1987) نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، الأردن: دار البشير، ط2 1987 م، والملخ، حسن خميس (2000) نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، عمان: دار الشروق.

⁴- مصطفى، إبراهيم (1937 [1992]) إحياء النحو، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ط2، ص 22.

⁵- ينسب إلى فُنْتُ Wundt لاقتراحه له "في النصف الأول من القرن العشرين" McCawley, James D. (1986) "Syntax", Encyclopedic Dictionary of Semiotics, edited by Thomas A. Sebeok, Berlin. New York. Amsterdam: Mouton de Gruyter, Vol. 2, pp. 1061- 71.

الحقيقي يبدأ مع بلومفيلد Bloomfield (1933 [1935]) Language, London: George Allen & Unwin Ltd., pp. 161, 167, 209, 221 Hays, David "أوضح هاريس Harris "فكرته الجوهرية" "Dependency theory: a formalism and some observations", Language 40, (1964) "Dependency theory: a formalism and some observations", Language 40, Number 4, edited by Bernard Bloch, Baltimore: Waverly Press Inc., pp. 511.

أبحاثه Harris (1946) "From morpheme to utterance", Language 22, edited by Bernard Bloch, Baltimore: Waverly Press Inc., pp. 161-183. & Readings in Linguistics, edited by Martin Joos, Chicago and London: the University of Chicago Press, 1966, pp. 142- 53.

وقد "طَبَّقَهُ معظم البنىويين" Nida, Eugene A. (1948) "The analysis of grammatical constituents", Language 24, edited by Bernard Bloch, Baltimore: Waverly Press Inc., pp. 168- 77.

Lyons (1968) An Introduction to Theoretical Linguistics, p. 212.

⁶ - Crystal, David (1985) A Dictionary of Linguistics and Phonetics, UK: Basil Blackwell, p. 153.

⁷ - Simpson, J. M. Y. (1979) A First Course in Linguistics, GB: Edinburgh University Press, p. 115.

وحدات التراكيب الوسيطة بين الجمل والكلمات، كما يحلل الكلمات إذا كانت ذوات أجزاء تحمل دلالة، أي يستمر التحليل اللغوي إلى أن يصل إلى "كل المورفيمات المنفصلة التي تدخل في تركيب، ولا تقبل تجزئة أخرى" ⁸. وترجع تسميته بمنهج المكونات المباشرة إلى أن الانتقال بين الوحدات اللغوية يتم من الوحدة اللغوية المراد تحليلها إلى الوحدة التي تليها مباشرة.

لقد تَمَّتْ، على أية حال، الإشارة إلى نظرية العامل في ضوء مناهج تحليل المكونات؛ فقد بيّن بعض الدارسين أن نظرية العامل في الدرس اللغوي العربي تُبْنَى على تحليل المكونات النهائية الذي سبقت الإشارة إليه؛ إذ يحلل الجمل إلى الكلمات دون الوقوف على وحدات وسيطة بينهما⁹، أو على وحدات أصغر من الكلمات. ويُقَابَلُ تحليل الجملة في العربية بهذا تحليل المكونات المباشرة الذي يُفَدَّمُ في الرسم الشجري. يقول بيستون Beeston في إشارته هذه: "أنجز لغويو القرنين الثامن والتاسع العرب في وصف لغتهم وتحليلها عددا من الأفكار المُتَقَدِّمَة بشكل عالٍ في علم اللغة العام التي لم تكن معروفة كُليَّةً في أوروبا إلى أن استنبطها لغويو القرن التاسع عشر بشكل مستقل. كان، مثلا، المبدأ المسمى الآن تحليل المكون النهائي

Ultimate Constituent Analysis أساسا بالنسبة للنحاة العرب"¹⁰.

- اتجاه اللغويات العربية المعاصرة في تقويمها للتراث اللغوي العربي اتجاها نقديا على نحو بارز، بالحديث عما فيه من معيارية ومنطق وفلسفة بخلاف اتجاهات المستشرقين والمنظرين اللغويين الغربيين الذين يثبتون للتراث اللغوي العربي أوجه تفوق كبيرة جدا أكثر من انتقاده؛ فهم يرون، مثلا، أنه "صياغة سريعة بشكل غير عادي، أتبعها امتداد ثري وسريع على نحو مُمَاتِل في كل حقول الدرس اللغوي: الأصوات والصرف والنحو والدلالة وفلسفة اللغة. لقد تَطَوَّرَ الدرس اللغوي عند العرب في ستة قرون في اتجاه أكثر تجانسا مع اللغويات الغربية فيما بعد النهضة منه مع لغويات القرون الوسطى في الغرب"¹¹.

⁸ - Pei, Mario (1966) Glossary of Linguistic Terminology, New York: Columbia University Press, p. 284.

⁹-وقف اللغويون العرب، في الحقيقة، على مركبات الإضافة والنعت والعطف والبدل... التي تتوسط بين الجملة والكلمة، كما تم بيانه في بحث عبد الدايم، د. محمد عبد العزيز (1998) أنماط الوحدة التركيبية في العربية، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ولكن هذه الوحدات لم تمثل وحدة تحليل؛ إذ لم يقف النحاة في إعرابهم للجملة على هذه المركبات بوصفها المكونات التي تتكون منها الجملة، أو كما عبّر بعض الدارسين: "لم تُبْنَى بوصفها وحدة وظيفية تامة ترد في مستوى تحليل بين الجملة والكلمة أحسن تَعْمُدُهُ"، انظر: Suleiman, Yasir (1995) "Arabic linguistic tradition", in The Encyclopedia of Language and Linguistics, edited by R. E. Asher, Oxford: Pergamon Press, Vol. 1, pp. 194-02. & in Concise History of the Language Sciences from the Sumerians to the Cognitivists, edited by E. F. K. Koerner and R. E. Asher, UK: Pergamon, p.34.

¹⁰ - Beeston, A. F. L. (1982) "Arabic language", in Dictionary of The Middle Ages, New York: Charles Scribner's Sons, Vol. 1, p. 377.

¹¹ - Law, Vivien (1985) "Language and its students: the history of Linguistics", in An Encyclopedia of Language, edited by N. E. Collinge, London and New York: Routledge, p. 825.

ونستطيع أن نقرر أن من النزر اليسير الذي قرأ جانب التنظير اللغوي في التراث العربي بحث نظرية الصرف العربي: دراسة في المفهوم والمنهج"¹²، وعمل "النظرية اللغوية في التراث العربي"¹³، وعمل "الاستدلال اللغوي: نحو نظرية معاصرة لأصول النحو العربي"¹⁴.

- ورود بعض المحاولات الجادة والمتميزة لاستنباط نظريات نحوية أخرى من التراث العربي، وبخاصة في أعمال المستشرقين، وممن قام بذلك كيس فرستيغ Kees Versteegh في كتابه عن "Greek Elements in Arabic Linguistic Thinking" العناصر اليونانية في الفكر اللغوي العربي"¹⁵ الذي تحدث فيه عن "The theory of grammatical categories نظرية الأجناس النحوية"¹⁶ و"Stoic Component in the theory of meaning" العنصر المشائي في نظرية المعنى"¹⁷، ثم في ترجمته وتعليقه على كتاب "الإيضاح في علل النحو" للزجاجي؛ حيث جعل عنوانه "The Explanation of Linguistic Causes: Az-Zġġāgī's Theory of Grammar; Introduction, Translation, Commentary شرح العلل اللغوية: نظرية الزجاجي النحوية، مقدمة وترجمة وتعليق" ¹⁸. وقد أدرج في كثير من فصول هذا الكتاب عنوان نظرية ¹⁹. كما عرض جهود الزجاجي في التعليل بصفتها مرحلة في تطور النظرية اللغوية في بحثه عن "تطور النظرية اللغوية: جهود الزجاجي في التعليل اللغوي" The development of linguistic theory: Az-Zajjâjî on linguistic explanation"²⁰. ويمكن الخروج بعدد من الملاحظات المهمة من مراجعة مثل هذا العمل المتميز على ما سنقوم به في بحثنا الحالي. وقد تناولت دراسات تالمون Talmon الجانب التنظيري للنحو العربي أيضا كما يظهر في كتاب "Arabic Grammar in Its Formative Age النحو العربي في طور التكوين" ²¹؛ حيث يتحدث، مثلا، عن "كتاب العين والنظرية النحوية المبكرة للعراق القديم" ²².

¹² - عبد الدايم، د. محمد عبد العزيز (2000-2001) نظرية الصرف العربي: دراسة في المفهوم والمنهج، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة الكويت، الحولية الحادية والعشرون، الرسالة 158.

¹³ - عبد الدايم، د. محمد عبد العزيز (2006) النظرية اللغوية في التراث العربي، القاهرة: دار السلام.

¹⁴ - الرفاعي، د. محمد عبد العزيز عبد الدايم (2008) الاستدلال اللغوي: نحو نظرية معاصرة لأصول النحو العربي، القاهرة: دار الهاني.

¹⁵ - Versteegh, Kees (1977) Greek Elements in Arabic Linguistic Thinking, Leiden: E. J. Brill.

¹⁶ - Ibid., pp. 38- 89.

¹⁷ - Ibid, pp. 178- 95.

¹⁸ - Versteegh, Kees (1995) The Explanation of Linguistic Causes: Az-Zġġāgī's Theory of Grammar; Introduction, Translation, Commentary", Amsterdam/ Philadelphia: John Benjamins Publishing Company.

¹⁹ - Ibid., pp. 72, 87, 95, 101, 109, 118, 121, 135, 139, 157, 216, 224, 231.

²⁰ - Versteegh, Kees (1997) "The development of linguistic theory: Az-Zajjâjî on linguistic explanation", in The Arabic Linguistic Tradition, Series of Landmarks in Linguistic Thought III, London and New York: Routledge, pp. 64- 75.

²¹ - Talmon, Rafael (1997) Arabic Grammar in Its Formative Age, Leiden. New York, Köln: Brill.

²² - Ibid, pp. 278- 83.

أما جوناثان أوينز Jonathan Owens فقد وقف في كثير من أعماله على نظريات التراث العربي؛ إذ تكلم في كتابه "Foundations of Grammar أسس النحو" ²³ عن مفهوم "التعليم [الوسم أو التمييز أو زيادة العلامة] في النظرية العربية Markedness in Arabic theory" ²⁴، كما كتب، على سبيل المثال، عن "Themes in the development of Arabic Grammatical theory موضوعات في تطور النظرية النحوية العربية" ²⁵، وعن "The structure of Arabic grammatical theory بناء النظرية النحوية العربية" ²⁶، وذلك فضلا عن بحثه عن نظرية تقسيم الكلم في العربية والذي بعنوان: "The Syntactic Basis of Arabic Word Classification" ²⁷.

كما أن فايس Weiss له محاولة عن نظرية أقسام الكلام في العربية بعنوان "A Theory of the Parts of Speech in Arabic (Noun, Verb and Particle): A Study in 'ilm al-wa' I'rāb and Binā' from linguistic reality to grammatical theory" ²⁸.

كما تعرضت دراسة "الإعراب والبناء من الحقيقة اللغوية إلى النظرية النحوية" ²⁹ للنظرية النحوية في التراث العربي. وقامت دراسة "Universal History of Linguistics: India, China, Arabia, Europe التاريخ العام لعلم اللغة: الهند والصين والجزيرة العربية وأوروبا" بعرض بعض جوانب هذا النظرية بعنوان "General Characteristics of the Arab Syntactic Theory سمات عامة عن النظرية النحوية العربية" ³⁰.

²³ - Owens, Jonathan (1988) Foundations of Grammar, Amsterdam/ Philadelphia: John Benjamins Publishing Company.

²⁴ - Ibid, pp. 199- 226.

²⁵ - Owens, Jonathan (1990) "Themes in the development of Arabic grammatical theory", in Studies in the History of Arabic Grammar II, Proceedings of the 2nd Symposium on the History of Arabic Grammar, Nijmegen, 27 April- 1 May 1987, edited by Kees Versteegh and Michael G. Carter, Amsterdam/ Philadelphia: John Benjamins Publishing Company, pp. 253-63.

²⁶ - Owens, Jonathan (2000) "The structure of Arabic grammatical theory", in History of the Language Sciences, Edited by Herausgegeben Von , Vol. 1, pp. 286- 300.

²⁷ - Owens, Jonathan (1989) "The Syntactic Basis of Arabic Word Classification", Arabica, Vol. 36, No. 2, (Jul., 1989), pp. 211-234

²⁸ - Weiss, B. A Theory of the Parts of Speech in Arabic (Noun, Verb and Particle): A Study in 'ilm al-wa' Arabica, Vol. 23, No. 1, (Feb., 1976), pp. 23-36.

²⁹ - Baalbaki, Ramzi (1990) "I'rāb and Binā' from linguistic reality to grammatical theory", in Studies in the History of Arabic Grammar II, Proceedings of the 2nd Symposium on the History of Arabic Grammar, Nijmegen, 27 April- 1 May 1987, edited by Kees Versteegh and Michael G. Carter, Amsterdam/ Philadelphia: John Benjamins Publishing Company, pp. 17- 33.

³⁰ - Itkonen, Esa (1991) Universal History of Linguistics: India, China, Arabia, Europe, Amsterdam/ Philadelphia: John Benjamins Publishing Company, pp. 132- 45.

وجاءت دراسات عن جوانب خاصة في النظرية النحوية العربية، كما في بحث
"Elements Pragmatique dans la Theorie Grammatical Arab Post- Classique"
تداولية في النظرية النحوية العربية المتأخرة"³¹.

وقد عرّضَ بحث "النظرية الصرفية في النحو العربي: دراسة في المفهوم والمنهج"³²
نماذج النظرية الصرفية مع مقارنتها بما يُقَارَبُها من نظريات الصرف في اللغويات الغربية
المعاصرة.

وقام رمزي البعلبكي الذي ينتمي إلى المدرستين العربية والغربية بتقديم بعض بحوث
التنظير حيث تناول إعادة تقسيم الكلم في النظرية النحوية العربية في بحث بعنوان
"Reclassification in Arab Grammatical Theory"³³.

2. ملامح دراسة النظرية اللغوية العربية في لغويات القرن العشرين

يمكن أن تُلخَّصَ أبرز الملامح في دراسة النظرية اللغوية العربية في لغويات القرن
العشرين في عدد من الأمور على النحو الآتي:

أ. ورود إشارات نقدية سريعة عن النظرية النحوية في اللغويات العربية في القرن العشرين.
ب. اقتصار هذه الإشارات في لغويات القرن العشرين العربية على نظرية العامل دون غيرها
مما تنطوي عليه النظرية التراثية للنحو العربي.

وقد كان، في الحقيقة، وصف مفهوم العامل بأنه نظرية شرًا على النحو، لا لأن مفهوم
العمل لا يمثل نظرية، ولكن لأنه حرم ما سواه من أن يوصف بكونه نظرية، فحرم غيره من
المفاهيم التي تستحق الوصف بالنظرية من أن تلقب بلقب النظرية. لقد صار كل حديث أو
إشارة إلى نظرية النحو العربي ينصرف مباشرة إلى نظرية العمل.

ج. أن الوقوف على نظريات أخرى غير نظرية العامل في النحو العربي كان أبرز ما قدمته
لغويات المستشرقين المعنيين بالتراث العربي.

د. أن رصد نظريات التراث العربي النظرية لم يحظ في عناية المستشرقين الذين عالجوها
بتقديمها في إطار عام، بل لم تزد دراسة لنظريات النحو أو الصرف الكاملة.

هـ. أنه لم يتم التأصيل لما يمكن أن يعد نظرية وما لا يعد، كما لم يوضع إطار عام لنظرية من
النظريات التي تم التعرض لها؛ الأمر الذي جعل الباب مفتوحاً لمن أراد أن يضفي على
عمله بعض الجدة بوصف ما يدرسه بالنظرية.

و. أن النظريات لم تأخذ، في الأعم الأغلب، عنواناً بارزاً في دراساتهم، بل جاءت في أثناء
عرضهم لمفاهيم العلوم العربية وتصوراتها المختلفة.

ز. أن نظريات التراث اللغوي جديرة بدراسات جادة تستوفي ثلاثة شروط، هي:

³¹ - Larcher, Pierre (1987) "Elements Pragmatique dans la Théorie Grammatical Arab Post- Classique", in Studies in the History of Arabic Grammar II, edited by Versteegh and M. G. Carter, Amsterdam: John Benjamins Publishing Company, pp. 195-14.

³² - عبد الدايم، د. محمد عبد العزيز (2000-2001) نظرية الصرف العربي: دراسة في المفهوم والمنهج،
حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية بجامعة الكويت، الحولية الحادية والعشرون، الرسالة 158.

³³ - Baalbaki, Ramzi (1995) "Reclassification in Arab Grammatical Theory", Journal of Near Eastern Studies, Vol. 54, No. 1, (Jan., 1995), pp. 1-13, Published by: The University of Chicago Press

- أن تكون نظريات التراث اللغوي صوتياً أو صرفياً أو نحوياً... إلخ هي العنوان العام الذي يقدم التراث النحوي من خلاله؛ وذلك لإعادة تقديم التراث اللغوي العربي في صورة نظريات لغوية، مثلما سبق تقديمه في صورة اتجاهات ومدارس لغوية.
 - أن تستوفي النظريات اللغوية المختلفة لكل علم من العلوم العربية على نحو جامع.
 - أن تقدم هذه النظريات في إطار عام يُبيِّنُ علاقتها ببعضها ببعض.
- كما أن من أبرز ما يمكن تسجيله على واقع الدرس الصرفي العربي بشكل خاص ما يلي:

أ. أن الدرس الصرفي العربي لم يلق ما لقيه النحو العربي من عناية من الدرس المعاصر؛ فبينما يتوزع الدرس اللغوي العربي القائم على المفاهيم اللغوية المعاصرة في تطبيقاتٍ للنظرية النحوية في طورها التحويلي التوليدي، وفي بحوثٍ في لغويات النصّ والخطاب، يَفُفُ الصرّفُ بمنأى عن ذلك.

وبحسبنا أن ننتبه إلى أن الجانب الصرفي من نظرية النحو التحويلي التوليدي، على تضخم ما قُدِّم في جانبها النحوي من البحوث والدارسات، لم يجد له صدى في التطبيق العربي المعاصر يواكب ما قدم منه في الدرس اللغوي الغربي المعاصر الذي لا ننفي تأخره قليلاً عن الجانب النحوي من النظرية؛ فقد أهملت النظرية التحويلية التوليديّة الجانب الصرفي في أول أمرها، ولم يتضح الجانب الصرفي للغة في معالجات النظرية إلا في طورها الثاني الذي تأخرت إليه بدايات معالجة الصرف في إطار النظرية التحويلية التوليديّة، يشير بعض اللغويين إلى تأخر بدايات إدراج الصرف ومعالجته في إطار النظرية التوليديّة، يقول: "على أنه إلى الآن ليس ثمة معالجة شاملة للصرف داخل الإطار التوليدي إلا ما كان من ماتيوس Matthews نفسه في عدد من النشرات الحديثة. ينضوي الفصل الحالي³⁴ على تقرير مختصر وغير قَبِيّ لجزءٍ من اقتراحاته"³⁵.

ب. استتازت التفصيلات والأحكام لهذا الدرس الصرفي، في جانب كبير منه على الأقل؛ فجاهاً بعيداً عن معالجة المنهج والنظرية الصرفية التي تأتي خَلْفَ هذه الأحكام وتلك التفصيلات، بل إن بعض الدراسات، وهي "مناهج الصرفيين في القرنين الثالث والرابع من الهجرة" تقدم فصولاً عن كل من السماع والقياس والعلل الصرفية والإجماع³⁶ بوصفها مناهج صرفية.

ج. تأثر درسنا الصرفي المعاصر بالدرس النحوي؛ فالكتابة عن المدارس الصرفية لا تخرج عن الكتابة عن المدارس النحوية. وأصول الصرف مقيدة بأصول النحو، أو هي فرع عليها. من ذلك الحديث عن مذاهب الصرفيين من بصريين إلى كوفيّين إلى بغداديين،

³⁴- يريد دراسة "تطورات حديثة في الدراسات الصرفية" لماتيوس التي يقدمها جون ليونز في كتابه آفاق جديدة في علم اللغة، Matthews, P. H. (1970) *Recent Developments in Morphology*, New Horizons in Linguistics, Edited by John Lyons. GB: Penguin Books.

³⁵ - Ibid., p. 96.

³⁶- هندأوي، د. حسن (1989) مناهج الصرفيين ومذاهبهم في القرنين الثالث والرابع من الهجرة، دمشق: دار القلم، ط1، الباب الأول.

والحديث عن مسائل الخلاف الصرفية بين أعلام الدرس اللغوي على نحو ما جرى في الدرس النحوي³⁷.

وينبغي علينا، درءاً لمجيء التنظير الصرفي نسخة صرفية للتنظير النحوي، أن نتفهم اختلاف الظاهرتين الصرفية والنحوية قبل تقديم نظريتهما، أي يجب علينا الاجتهاد في تنظير المظاهرة الصرفية بعيد عن التنظير النحوي. فإذا كان للنحو نظرية العامل التي تحلل تركيب الجمل، فينبغي أن يكون للصرف نظريته الخاصة التي تحلل تركيب الكلمات. وفي إطار البحث عن النظريات الصرفية لتحليل الكلمات التي تقابل نظريات النحو التي تحلل تراكيب الجمل يرد حديثنا عن ثلاثة نماذج من النظرية الصرفية نتناولها في بحثنا. وتلزمنا، ابتداءً، المبادرة إلى الإشارة إلى وجود جملة من الدراسات التي تتبنى على المفاهيم اللغوية المعاصرة في صرفنا المعاصر، نحو:

- "دور الوحدات الصرفية في بناء الكلمة العربية". وهي دراسة متميزة تقوم على معالجة بنية الكلمة العربية برصد مجموعة الوحدات الصرفية التي تقوم على تشكيلها³⁸.

- كتاب "اللغة العربية: معناها ومبناها"، ويتكفل بتصور متكامل للنظام الصرفي في العربية³⁹.
- كتاب "التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث"، ويمثل محاولة أولية للكشف عن بعض خصائص النظام الصرفي العربي⁴⁰.

- "المنهج الصوتي للبنية العربية: رؤية جديدة في الصرف العربي"، ويمثل هذا العمل دراسة لبنيّة الكلمات العربية صوتياً، وهي ترى أن التجديد لم يَتِمَّ على النحو التام؛ إذ لا ينبغي أن يُقْتَصَرَ على تقديم "بضعة أمثلة أو بضعة مصطلحات، أو تعديلات لطائفة أو أكثر من المسائل النحوية... المنهج المتكامل الذي يتعرض لكل مسائل العلم، ويتصدى لحلها على الأساس الجديد المقترح"⁴¹.
- "دور الصرف في منهجي النحو والمعجم"، وهو يرصد توظيف القيم الصرفية في النحو والمعجم⁴².

3. تحليل بعض قراءات النظرية اللغوية في التراث العربي

يمكن أن نقف مع بعض المحاولات البارزة في مجال قراءة النظرية اللغوية في التراث العربي، لنتحقق ما إذا كانت رؤيتها التنظيرية مسلمة، أم أنها كشتى التصورات قابلة للنقاش. ومن هذه المحاولات الجديرة بالوقوف معها محاولة جوناثان أونز Jonathan Owens الذي يناقش فيها بناء النظرية النحوية العربية والذي بعنوان "The structure of Arabic grammar theory"⁴³، وقد تمثلت محاور هذا البحث بعد المقدمة في معالجة أصول النحو عند ابن

37- السابق، الباب الثاني.

38- عبد الغني، د. أحمد عبد العظيم (1970) الوحدات الصرفية ودورها في بناء الكلمة، رسالة ماجستير بجامعة القاهرة، رقم 336 بكلية دار العلوم.

39- حسان، د. تمام (1973) اللغة العربية: معناها ومبناها، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

40- البكوش، د. الطيب (1973) التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، تونس: الشركة التونسية لفنون الرسم، ص 22.

41- شاهين، د. عبد الصبور (1977) المنهج الصوتي للبنية العربية: رؤية جديدة في الصرف العربي، القاهرة: مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي، ط1، ص 216.

42- الدناع، د. محمد خليفة (1981) دور الصرف في منهجي النحو والمعجم، ليبيا: منشورات جامعة قار يونس.

43 - Owens, Jonathan (2000) 'The structure of Arabic grammar theory', History of Language Sciences, Vol. 1, Walter de Gruyter. Berlin. New York, pp. 286- 300.

السراج، والحدود بين النحو والصرف، وعالج في محور النحو أقسام الكلم والإعراب والمواقع النحوية، والعمل، ومثال على تحليل الجملة التي ذكرها ابن السراج "أدب الرجل ولده اليوم تأديبا شديدا اليوم" وفق علاقات العمل، والنظريات المساعدة وتطور التفكير النحوي. كما تناول في محور الصرف كلا من الميزان الصرفي "فعل"، والمورفولوجي، والحد بين الصرف والنحو. وناقش في المحور الأخير الأصل والفرع. وسأقتصر على أمرين في إطار إثبات أننا بحاجة إلى مناقشة هذه المحاولات مثلما نحن بحاجة، أيضا، إلى تقديم تصورات تنظيرية لتراثنا اللغوي الكبير. الأمر الأول أن اشتمال هذا البحث على عدد غير قليل من النظريات اللغوية التي قدمها تراثنا اللغوي:

ويظهر ذلك، في الحقيقة، في وقوفه مع كل من:

- **نظرية العمل** التي تعد النظرية الأساسية للنحوية العربي لكونها تفسر تعلق الكلمات بعضها ببعض لتكوين الجمل والتراكيب النحوية، وتفسر سمات العناصر التي تتكون منها التراكيب النحوية، وتقسّمها إلى علامات وقرائن.
- **نظرية الأصل والفرع** التي تقابل نظرية التعليم *Markedness theory* بنسبة عالية تكاد تصل إلى التطابق، كما يشتمل على معالجة لأقسام الكلام الذي يعد نظرية كما وصفته دراسة فايس⁴⁴ Weiss.

على أننا نشير، كذلك، إلى أنه قد اشتمل على ما يعد من قبيل الظواهر اللغوية، كالإعراب الذي هو في حقيقته ظاهرة ذات نظام معين، تم تفسيرها في تراثنا اللغوي بنظرية العمل.

كما أنه قد اشتمل على ما ليس نظرية بحديثه عن الحد بين الصرف والأصوات، وبين الصرف والنحو، وهذا أو ذلك من الأمور التي تتصل بحدود موضوع الدراسة، أو بحدود الظاهرة المدروسة دون أن يتصل بالنظرية نفسها إلا إذا تم تقديم بعض الفروض المتصلة بهذه الحدود أو بالتداخل بين الظاهرتين الصوتية والصرفية، أو بين الظاهرتين الصرفية والنحوية. الأمر الثاني أن علاقة بناء البحث بالعنوان يحتاج إلى وقفة؛ فهو يعطينا انطبعا بأننا سوف نقف مع بنية النظرية النحوية التي يفترض أن تشتمل على مجموعة الفروض التي تتبناها وتشكل نظريات فرعية، وعلى العلاقة بين هذه الفروض أو النظريات الفرعية بعضها ببعض، وعلى مدى تغطيتها لأنظمة الظواهر اللغوية، وربما على كفاءتها في تغطية الظاهرة اللغوية للعربية بشكل ما إلى آخر هذه الأمور التي يمكن أن نعدها من قبيل مكونات النظرية النحوية العامة في التراث العربي أو للعربية، أو التي يمكن أن نراها أبعادا مختلف لمثل هذه النظرية. وإذا راجعنا بعض الأعمال العربية وجدناها تقوم بهذا، وذلك في فصل النظرية اللغوية العامة من كتاب النظرية اللغوية في التراث العربي؛ حيث قام هذا الفصل بتقديم تصور متكامل لبنية هذه النظرية، تناولت فيه ما أسمته بالنظرية الأساسية للتركيب النحوي، والنظريات غير الأساسية التي قسمتها بدورها إلى نظريات تكميلية للنظرية الأساسية، ونظريات بديلة عن

⁴⁴ - Weiss, B. A Theory of the Parts of Speech in Arabic (Noun, Verb and Particle): A Study in 'ilm al-wa'"Arabica, Vol. 23, No. 1, (Feb., 1976), pp. 23-36.

النظرية الأساسية⁴⁵، فضلا عن حديثها عما تقوم به النظرية النحوية تجاه تمحيص المادة المنقولة من اللغة سماعا أو رواية، والمناهج التي تعتمد عليها في ذلك⁴⁶.

المراجع

أ. العربية

البكوش، د. الطيب

(1973) التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث، تونس: الشركة التونسية لفنون الرسم.

حسان، د. تمام

(1973) اللغة العربية: معناها ومبناها، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الدناع، د. محمد خليفة

(1981) دور الصرف في منهجي النحو والمعجم، ليبيا: منشورات جامعة قار يونس.

الرفاعي، انظر عبد الدايم، د. محمد عبد العزيز

السيد، د. أمين

(1962) الاتجاهات النحوية في الأندلس وأثرها في تطوير النحو، دكتوراه بدار العلوم، جامعة القاهرة.

السيد، د. عبد الرحمن

(1958[1968]) مدرسة البصرة النحوية: نشأتها وتطورها، مصر: دار المعارف.

شاهين، د. عبد الصبور

(1977) المنهج الصوتي للبنية العربية: رؤية جديدة في الصرف العربي، القاهرة: مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي، ط1.

ضيف، د. شوقي

(1968[1983]) المدارس النحوية، مصر: دار المعارف، ط5

طحان، ريمون، ونديز بيطار طحان

فنون التقعيد وعلوم الألسنية، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط1.

عبد الدايم، د. محمد عبد العزيز

(1998) أنماط الوحدة التركيبية في العربية، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

(2000-2001) نظرية الصرف العربي: دراسة في المفهوم والمنهج، حوليات الآداب والعلوم

الاجتماعية بجامعة الكويت، الحولية الحادية والعشرون، الرسالة 158.

(2006) النظرية اللغوية في التراث العربي، القاهرة: دار السلام.

(2008) الاستدلال اللغوي: نحو نظرية معاصرة لأصول النحو العربي، القاهرة: دار الهاني.

عبد الغني، د. أحمد عبد العظيم

(1970) الوحدات الصرفية ودورها في بناء الكلمة، رسالة ماجستير بجامعة القاهرة، رقم 336 بكلية دار العلوم.

فريحة، أنيس

(1981) نظريات في اللغة، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ط2.

المخزومي، د. مهدي

(1953[1958]) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو، القاهرة: مطبعة مصطفى البابي

الحلبي، ط2.

⁴⁵ عبد الدايم (2006) النظرية اللغوية في التراث العربي، ص ص 55 - 86.

⁴⁶ السابق، ص ص 76 - 79.

- مصطفى، إبراهيم
([1937] 1992) إحياء النحو، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ط2.
مكرم، د. عبد العال سالم
([1980] 1962) المدرسة النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة، القاهرة:
دار الشروق.
الملخ، حسن خميس
(2000) نظرية التعليل في النحو العربي بين القدماء والمحدثين، عمان: دار الشروق.
الموسى، د. نجاد
(1987) نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، الأردن: دار البشير، ط2.
هنداوي، د. حسن
(1989) مناهج الصرفيين ومذاهبهم في القرنين الثالث والرابع من الهجرة، دمشق: دار القلم، ط1.
ب. الأجنبية

Baalbaki, Ramzi

(1990) "Īrāb and Binā' from linguistic reality to grammatical theory", in Studies in the History of Arabic Grammar II, Proceedings of the 2nd Symposium on the History of Arabic Grammar, Nijmegen, 27 April- 1 May 1987, edited by Kees Versteegh and Michael G. Carter, Amsterdam/ Philadelphia: John Benjamins Publishing Company, pp. 17- 33.

(1995) "Reclassification in Arab Grammatical Theory", Journal of Near Eastern Studies, Vol. 54, No. 1, (Jan., 1995), pp. 1-13, Published by: The University of Chicago Press

Beeston, A. F. L.

(1982) "Arabic language", in Dictionary of The Middle Ages, New York: Charles Scribner's Sons, Vol. 1, p. 377.

Crystal, David

(1985) A Dictionary of Linguistics and Phonetics, UK: Basil Blackwell.

Bloomfield

(1933 [1935]) Language, London: George Allen & Unwin Ltd.

Harris

(1946) "From morpheme to utterance", Language 22, edited by Bernard Bloch, Baltimore: Waverly Press Inc., pp. 161-183. & Readings in Linguistics, edited by Martin Joos, Chicago and London: the University of Chicago Press, 1966, pp. 142- 53.

Hays, David

(1964) "Dependency theory: a formalism and some observations", Language 40, Number 4, edited by Bernard Bloch, Baltimore: Waverly Press Inc., pp.

Itkonen, Esa

(1991) Universal History of Linguistics: India, China, Arabia, Europe, Amsterdam/ Philadelphia: John Benjamins Publishing Company, pp. 132- 45.

Larcher, Pierre

(1987) "Elements Pragmatique dans la Théorie Grammatical Arab Post- Classique", in Studies in the History of Arabic Grammar II, edited by Versteegh and M. G. Carter, Amsterdam: John Benjamins Publishing Company, pp. 195-14.

Law, Vivien

(1985) "Language and its students: the history of Linguistics", in An Encyclopedia of Language, edited by N. E. Collinge, London and New York: Routledge, p. 825.

Lyons, John

(1968) *An Introduction to Theoretical Linguistics*.

Matthews, P. H.

(1970) *Recent Developments in Morphology*, *New Horizons in Linguistics*, Edited by John Lyons. GB: Penguin Books.

McCawley, James D.

(1986) "Syntax", *Encyclopedic Dictionary of Semiotics*, edited by Thomas A. Sebeok, Berlin. New York. Amsterdam: Mouton de Gruyter, Vol. 2, pp. 1061- 71.

Mortel, Richard T.

(1997) "Madrasas in Mecca during the medieval period: a descriptive study based on literary sources", in *Bulletin of the School of Oriental and African Studies*, University of London, Vol. 60, Part 2, pp. 236- 52.

Nida, Eugene A.

(1948) "The analysis of grammatical constituents", *Language* 24, edited by Bernard Bloch, Baltimore: Waverly Press Inc., pp. 168- 77.

Owens, Jonathan

(1988) *Foundations of Grammar*, Amsterdam/ Philadelphia: John Benjamins Publishing Company.

(1989) "The Syntactic Basis of Arabic Word Classification", *Arabica*, Vol. 36, No. 2, (Jul., 1989), pp. 211-234

(1990) "Themes in the development of Arabic grammatical theory", in *Studies in the History of Arabic Grammar II, Proceedings of the 2nd Symposium on the History of Arabic Grammar*, Nijmegen, 27 April- 1 May 1987, edited by Kees Versteegh and Michael G. Carter, Amsterdam/ Philadelphia: John Benjamins Publishing Company, pp. 253-63.

(2000) "The structure of Arabic grammatical theory", in *History of the Language Sciences*, Edited by Herausgegeben Von , Vol. 1, pp. 286- 300.

Pei, Mario

(1966) *Glossary of Linguistic Terminology*, New York: Columbia University Press.

Simpson, J. M. Y.

(1979) *A First Course in Linguistics*, GB: Edinburgh University Press.

Suleiman, Yasir

(1995) "Arabic linguistic tradition", in *The Encyclopedia of Language and Linguistics*, edited by R. E. Asher, Oxford: Pergamon Press, Vol. 1, pp. 194-02. & in *Concise History of the Language Sciences from the Sumerians to the Cognitivists*, edited by E. F. K. Koerner and R. E. Asher, UK: Pergamon, p.34.

Talmon, Rafael

(1985) "An eight-century grammatical school in Medina: the collection and evaluation of the available material", in *Bulletin of the School of Oriental and African Studies*, University of London, Vol. XLVII, Part 2, pp. 224-36.

(1997) *Arabic Grammar in Its Formative Age*, Leiden. New York, Köln: Brill.

Versteegh, Kees

(1977) *Greek Elements in Arabic Linguistic Thinking*, Leiden: E. J. Brill.

(1995) *The Explanation of Linguistic Causes: Az-Zğğāğī's Theory of Grammar; Introduction, Translation, Commentary*, Amsterdam/ Philadelphia: John Benjamins Publishing Company.

(1997) "The development of linguistic theory: Az-Zajjâî on linguistic explanation", in *The Arabic Linguistic Tradition, Series of Landmarks in Linguistic Thought III*, London and New York: Routledge, pp. 64- 75.

Weiss, B.

(1976) *A Theory of the Parts of Speech in Arabic (Noun, Verb and Particle): A Study in 'ilm al-wa'* Arabica, Vol. 23, No. 1, (Feb., 1976), pp. 23-36.